MERS

MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 8 - 6 - 95
Photo No. : 176

وماذا لو كان
الرهان الفلسطيني ناجحاً

في سلّم الرموز الفلسطينية يحتل اسم محمود درويش موقعاً مميزاً يتعدى موقعه الادبي، الرفيع في ذاته. فهو منذ خروجه من فلسطين عام ١٩٧٠ لم يغب عن مختلف منعطفات النضال الفلسطيني، ولاسيما في المرحلة العصيبة التي بدأت مع الاجتياح الاسرائيلي للبنان، حين شكّل انحيازه الى الشرعية الفلسطينية المدافعة عن استقلالية قرارها احد اهم دعائم الوحدة الوطنية الحقيقية. وقتئذٍ ذهب العديد من الفلسطينيين والعرب الى ان دخول محمود درويش اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير يزيد من شرعية القيادة الشرعية، مع العلم ان درويش نفسه كان بعيداً عن مثل هذا الادعاء. ثم جاء اتفاق "غزة – اريحا اولاً" فاعتبر البعض (وهو بعض آخر) ان خروج درويش من اللجنة التنفيذية ينتقص من شرعية التوقيع الفلسطيني، مع العلم هنا ايضاً ان الشاعر ظل بعيداً عن مثل هذا الادعاء، اذ لم يحول تحفظه المبدئي على الاتفاق معارضة علنية خشية ان تصب في خانة الذين راهنوا دوماً على الفشل الفلسطيني. ولعله في جمعه بين التحفّظ على خط سياسي والمحافظة على ولائه للامل الفلسطيني كان من الذين يؤسسون لنمط جديد من المعارضة، بهدف تحصين الانجاز المحقق مهما يكن صغيراً لا بغرض تهشيمه.

لذلك كله تنطوي عودة محمود درويش المرتقبة الى فلسطين على ابعاد لا يستهان بها. قد يكون من المبكر بالطبع التكلم عن بعدها السياسي، في انتظار ان تتّضح طبيعة هذه العودة، ويعرف المكان الذي سيقيم فيه درويش ونوع العمل العام الذي سيقوم به. غير انه يمكن منذ الآن الحديث عن صدى سياسي للابعاد الرمزية التي ستحملها هذه العودة.

والابعاد الرمزية في مثل هذه القضية ثلاثة. ففضلاً عن الرمز الذي سيتعامل معه الفلسطينيون من "عائدين"ومقيمين (وسواء كان هؤلاء في غزّة او في الضفة او في حدود اسرائيل ١٩٤٨)، هناك بعد عربي وبعد اسرائيلي. فمع عودة محمود درويش، ومهما تكن مدة هذه العودة، تستعيد فلسطين موقعاً فعلياً على خريطة الثقافة العربية. فعلى رغم انها لم تغب عن الخريطة الذهنية، كانت فلسطين، وبسبب الظروف، بعيدة عن شبكة التبادل الثقافي العربي. وبهذا المعنى، فان اقامة احد اكبر أعلام الثقافة العربية المعاصرة فيها سيساهم في اعادة التواصل المقطوع، في شكل لم يكن يقدر عليه لا اميل حبيبي ولا سميح القاسم ولا سحر خليفة او ليانة بدر، على الاهمية الادبية لكل واحد منهم.

اما البعد الاسرائيلي، فيمكن تلمّسه من خلال استذكار ما حدث قبل ست سنوات، عندما شنّت حكومة اسحق شامير حرباً بكل معنى الكلمة على قصيدة لمحمود درويش. كانت القصيدة تقول: "اخرجوا من جوّنا". القصيدة لم تتبدل وهي لا تهادن، وان يكن الشاعر كرجل سياسي مستعداً لتسوية.

بيد ان اهم ما في قرار محمود درويش العودة وقرار اسرائيل السماح له بذلك قد يتمثل في ما يشير اليه من تقبل الفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء الامر الواقع الذي تمّ بناؤه في خلال سنة من الحكم الذاتي، مهما يكن منقوصاً. وبازاء هذا المؤشر، الذي يترافق مع دلائل ايجابية كثيرة اهمها نجاح السلطة الوطنية في تجنب الاهوال التي "وُعِدت" بها، قد يصبح من الضروري التساؤل: وماذا لو كان الرهان الفلسطيني ناجحاً؟

سمير قصير